مقال

الأهمية الجيو ستراتيجية لليبيا في الحفاظ على الأمن الافريقي

أ. زهير عطوف

مركز الشيخ
علي الغريّاني للكتاب

تعـد ليبيـا من الدول المهمـة والمحورية والتي لها دور اسـتراتيجي غاية في الأهميـة في القـارة الإفريقية، ودور جيوسياسـي لا يقل أهميـة في المنطقة العربيـة. كما تعتبر من بين الدول المنفتحة علـى العالم، كونها تمتلك مكانة وموقعـا اسـتراتيجيا بالنسـبة لدول شـمال افريقيـا، وتسـتحوذ على أعظم الثـروات الباطنيـة. الشـيء الذي اضفـى عليها أهمية خاصة في السياسـات الدوليـة والإقليميـة، وقـد ضاعـف وجـود هـذه الثـروات الضخمـة الأهميـة الاسـتراتيجي لليبيا في افريقيا. فضلا عن الأهمية العسـكرية والأمنية لليبيا والـدول المحيطة بها والمتشـاطئة معها.

ونتيجـة لذلك تعرضـت ليبيا لتنافس وصـراع دولي وإقليمي لبسـط النفوذ عليهـا وعلـى مواقعهـا الاسـتراتيجية بهدف التحكـم والسـيطرة. بالإضافة الـى رغبـة تلـك القوى في كسـب ورقـة ضغط جديدة فـي السـاحة الإقليمية والدوليـة. وفي هذا السـياق يأتي موضوع الأمن الافريقـي وعلاقته بليبيا على رأس جـدول أعمـال اللاعبيـن الإقليمييـن والدوليين، بسـبب فـرص التعاون مـن جهـة وتزايـد مخاطـر الصراعات مـع تشـكيل تحالفـات جيوسـتراتيجية وروابـط بيـن دول المنطقـة والجهـات الفاعلة مـن جهة أخرى.

◆ مكانة ليبيا الجيوستراتيجية:

قبـل مطلـع القـرن العشـرين ونتيجـة لأهميـة البحـر الأبيـض المتوسـط الاسـتراتيجية كانت منطقة جنوب المتوسـط، محلا للتطلعات الاستعمارية والإمبرياليـة فقـد قامت الدول الاسـتعمارية بتقاسـمها فيمـا بينها، ليكون لـكل منهـا نفـوذ على جزء مـن هذا البحـر الاسـتراتيجي المهم.

فقـد فرضـت بريطانيـا حمايتها علـى مصر لكـي تتحكم في قناة السـويس، كمـا قامت فرنسـا بإسـتعمار كل من المغـرب والجزائر وتونـس، علاوة على احتـلال ليبيـا مـن طـرف إيطاليـا. وقـد نشـأ عن هـذا الوضـع الاسـتعماري تنافـس دولي أوسـع نطاقا.

وبعـد الحـرب العالمية الثانية سـادت مقولة إنـه: «لا يمكن السـيطرة على أوروبـا الا عـن طريق جنوبها». ويحـوي هذا الجنوب البحر الأبيض المتوسـط

الـذي يربـط قارة اوروبا بقارة افريقيا الذي تمر فيـه أربع اخماس المواد الخام الأوليـة مشـحونة مـن اسـيا وافريقيا الـى الغرب الصناعـي، وتوجـد ليبيا في قلـب هـذا البحر، لهذا يشـتد الصـراع والتنافس بيـن القوى الدوليـة الفاعلة فـي المسـرح العالمـي بهـدف السـيطرة على ليبيـا او على الأقـل وضع قدم لهـذه الـدول فـي هـذا البلد الغنـي بالمـوارد الطبيعيـة والطاقيـة وبالملاحة الاستراتيجية.

مـن جانـب آخـر، فـان الموقـع الجغرافـي لليبيـا في وسـط شـمال افريقيا وطبيعـة تواجدهـا في وسـط البحر المتوسـط وسـهولة الوصـول منها الى العمـق الافريقي جعلها هدفا لمجموعة من القـوى الإقليمية والدولية. حيث تعتبـر ليبيـا جسـرا وبوابـة لأفريقيا وموطـئ قدم لتثبيـت وضع اسـتراتيجي جنـوب المتوسـط. وهكـذا باتت ليبيـا طريقا اسـتراتيجيا ليس مـن مصلحة العديـد من القوى خسـارته.

◆ ليبيا والمحيط الإفريقي.

لا تنظـر أغلب الشـعوب فـي دول إفريقيا جنـوب الصحراء والسـاحل بعين الرضـا إلـى مـا يحـدث فـي ليبيـا، ليـس فقـط مـن وجهـة نظـر مسـتقبلهم الأمنـي، لكـن كذلك بالنظـر إلى مسـتقبل إفريقيا بشـكل عـام. وبالتالي فإن عـدم الاسـتقرار فـي ليبيـا سـيجعل إفريقيـا تدفـع ثمن ذلـك. وبما أنـه يتم الحديـث فـي الميدان حـول تواجد مرتزقة إلـى جانب خليفة حفتـر، فهذا معناه ان افريقيـا جنـوب الصحـراء والسـاحل لن تكون فـي مأمن بسـبب المخاطر المتعددة.

وتتشـابك الديناميـات الأمنية في منطقة السـاحل الأفريقـي ليصبح الأمن فـي ليبيا مـن قضايا الأمن الإقليمي المقلق. كما ترتبـط دول جنوب الصحراء فـي هـذه القضايا الأمنيـة، والواقع أنّ السـاحل وجنوب الصحـراء مترابطان فـي أبعاد مختلفة من تاريخ متشـابك وسـيكون مسـتقبل المنطقة مرتبطا بمدى اسـتجابة هـذه الدول للتحديات السياسـية والاقتصاديـة والاجتماعية والتهديدات المشـتركة التي يواجهونها.

حيث تشهد في هذا السياق الحدود الجنوبية لليبيا انفلاتًا أمنيًا منذ عام 2011، وانتشارًا لظاهرة تهريب البشر والمهاجرين وتهريب الوقود، إضافةً إلى تهريب الأسلحة. ومع عودة المليشيات الذين حاربوا إلى جانب معمر القذافي وانتشار الأسلحة التي كانت جزءً من ترسانة القذافي، والتي وصلت وفق بعض التقديرات إلى أربعة عشر دولة أفريقية وبلغت ما يقرب من 45 مليون قطعة سلاح.

وقد أشار تقرير أصدرته مجموعة مسح الأسلحة الصغيرة «small arms survey» في يونيو 2017 أن عدم الاستقرار في تشاد والسودان أدى إلى ظهور ما يسمى «سوق للمقاتلين عبر الحدود» تربط بين البلدين وليبيا؛ وأن مئات المقاتلين من تشاد وإقليم دارفور يؤججون الاضطرابات في ليبيا ويحاربون لحساب مليشيات حفتر ويمارسون قطع الطرق وتهريب السلاح.

ومع توالي تطورات الثورة الليبية، وانتقال حالة الارتباك إلى دول الجوار، خاصة مالي والنيجر وتشاد، حيث انشغلت هذه الدول بحالة الفوضى الأمنية التي عاشتها دول الساحل، وفي هذا السياق يبدو أن مقتل الرئيس التشادي إدريس ديبي المفاجئ العام الماضي خلال عمليات عسكرية قادها بنفسه ضد مليشيات المعارضة التشادية، القى بظلاله على الأوضاع في تشاد، كما كانت له تداعيات خطيرة على الأوضاع في ليبيا، لاسيما مع اتخاذ المليشيات التشادية من الجنوب الليبي المفرغ أمنياً قاعدة لانطلاقاتها للقيام بأعمال مسلحة في الداخل التشادي.

كما تسيطر هذه المليشيات على بعض المناطق الليبية الغنية بمناجم الذهب وتمتلك الأسلحة والأموال وقد تجعل من الجنوب الليبي ساحة خلفية لصراعها مع النظام التشادي، في ظل دعمها من طرف خليفة حفتر، وتلقيها تدريبات على يد المرتزقة الروس الفاغنر الموجودين في ليبيا. وتحصل المليشيات التشادية على معدات وأسلحة روسية ثقيلة من جبهة القتال الليبية. لهذه الاعتبارات واخرى يتوقع محللون بأن تواجه ليبيا والدول الافريقية المحاذية لليبيا مزيدا من التحديات الأمنية نتيجة تحول الصراع المسلح -ولو في هذه المرحلة- من ليبيا إلى شمالي وغرب تشاد، واعتماد المتمردين التشاديين على الأراضي الليبية كقاعدة خلفية لهم .

◆ ليبيا والأمن الافريقي.

إن أي تدهور أمني وسياسي في ليبيا في حالة سقوط البلاد في مستنقع الاقتتال الداخلي من شأنه التأثير على الوضع في كامل أطراف البلاد، وسيتيح للتنظيمات المسلحة في الجنوب الليبي وشمال تشاد وتنظيم داعش في غرب إفريقيا التموقع في المشهد الجديد وتأسيس خلايا مسلحة وإرهابية في المنطقة. لذلك فأي اضطراب سياسي وأمني جديد في ليبيا من شأنه أن يهدد كامل محيطها الجغرافي الممتد من ليبيا شمالا إلى جمهورية إفريقيا الوسطى جنوبا، ومن السودان شرقا إلى موريتانيا غربا، وقد يدفع بدخول لاعبين دوليين جدد إلى المشهد الليبي والمنطقة لمزاحمة نفوذ بعض القوى هناك. وهنا يظهر جليا الدور الأساسي لليبيا في حفظ الأمن الافريقي

وتضع حكومة طرابلس قضية الامن وتوحيد المؤسسة العسكرية على رأس أولوياتها من أجل تأمين سيادة الدولة ووحدة البلاد، ودحر التهديدات الداخلية والخارجية والضغوط التي قد تأتي من أي مصدر، فضلا عن سعيها لتأمين حياة المواطنين ليمارسوا حقوقهم ويؤدوا واجباتهم بأمان.

وعلى الرغم من أن ليبيا لا تبدو على الساحة الدولية بنفس درجة الجاذبية وتأثير بعض القوى الإقليمية والدولية، من حيث معايير الاقتصاد والديمغرافيا والجيوبولتيك والأمن، إلا أنها تحتل مكانة مرموقة كقوة فاعلة ومشاركة في افريقيا فضلا عن أنها لاعب أساسي في حفظ امن ا لمنطقة .

ختاما لعل موقع ليبيا الاستراتيجي افريقيا وعربيا ومتوسطيا ودوليا، يثبت من خلال التجربة ان لها دورا أساسيا في الحفاظ على الامن الافريقي والإقليمي وفي كثير من الأحيان الامن الدولي. حيث يمكن القول ان ما وقع من اضطرابات في ليبيا شكل تهديدا أمنيا على دول الجوار وكسر التوازن الجيوسياسي للمنطقة، حيث كانت لها نتائج وتحديات عديدة على المنطقة بأكملها وعواقب لا يمكن التنبؤ بها، وعليه فإن استغلال خطوط التصدع والكسور الداخلية لليبيا وتعميقها من خلال التدخل الأجنبي المتصاعد من شأنه أن يجلب ويلات على المنطقة برمتها.

وبالتالي ليس هناك من يضمن أن النزاع سينتهي بالمنطقة في القريب العاجل إذا استمر الحال على ما هو عليه، وسيبقى مفتوحا على كل الاحتمالات في ظل بلدان محاذية لا تزال تعاني الهشاشة، حيث حدودها يسهل اختراقها بالإضافة الى عدم وجود رقابة حكومية على المساحات الصحراوية الواسعة وهو التحدي الرئيسي على ليبيا ودول الجوار.